في الشتات: روابط وجمعيات تؤسس للعودة الى فلسطين

دراسة من إعداد

راغدة عسيران

(القدس للأنباء/ خاص)

تشرين ثاني / نوفمبر 2014

المحتوى

مقدمة: 2

1 - روابط وجمعيات في اللجوء تقاوم الإبادة المجتمعية 4

نشأة الروابط والجمعيات 6

ما هي هذه الروابط؟ متى نشأت ولماذا؟ من هم أعضاؤها؟..... 7

2 – روابط وجمعيات لدعم صمود المجتمع الفلسطيني..... 14

3 – روابط وجمعيات تطمح للعودة الى فلسطين 18

خلاصة 23

وكالة الأنباء/خاص

مقدمة:

عندما قدم الغزاة من أنحاء العالم الى فلسطين مدعومين من بريطانيا ودول غربية أخرى، لم يكن لديهم أي ارتباط بالأرض والقرى والمدن التي استوطنوها، فاخترعوا تاريخاً خاصاً بهم يعود الى آلاف السنين، ودمّروا وشوّهوا معالمها الحضارية والتاريخية الجلية، كي يمحوا أثر الوجود الفلسطيني المنافي لماضيهم المزعوم ويمنعوا اللاجئين والمهجّرين من العودة اليها، ظناً منهم أنه يمكن محو الذاكرة وطمس الهوية بقوة السلاح ومواصلة المجازر والإرهاب. لكن، وبعد 66 عاماً من تهجيرهم القسري، ما يزال اللاجئون والمهجّرون الفلسطينيون يتطلعون الى قراهم وبلداتهم، ويحاولون استعادة ملامحها الأصلية، وتذكر الحياة فيها قبل النكبة، من خلال روابط وجمعيات في الشتات، تعيد إحيائها عن بعد، في الوقت الذي تحاول فيه جمعيات وروابط في الداخل المحتل عام 1948، تضم أبناء البلدات والقرى المهجّرة، العودة إليها أو البحث عن سبل استعادة بعض أماكنها المقدسة من أيدي الغزاة.

وصف باحثون ما ارتكبته دولة العدو بحق الشعب الفلسطيني، عندما تم تهجيره الى خارج فلسطين وتشتيته في العالم وقطع أوصاله بزرع المستوطنات وشق الطرق المؤدية اليها وتدمير المؤسسات، بالإبادة المجتمعية (sociocide)، أي إبادة المجتمع الفلسطيني الذي كان يتمتع بكافة المكوّنات العمرانية والمهنية والمعرفية وغيرها، ويعيش ويتطور كباقي المجتمعات في العالم. رغم أن المصطلح ورد رفضاً لتبني مصطلحاً آخر وهو الإبادة الجماعية البشرية (génocide) إلا أنه يعبّر عن إحدى أخطر ممارسات الاستيطان الصهيوني في فلسطين، والتي ما يزال يطبقها في كل بقعة من فلسطين، في قرية رمية في الجليل كما في بلدة بيت صفافا في القدس، كما في النقب والخليل والأغوار. يأتي تشكيل الروابط والجمعيات المنتمية الى القرى والبلدات الفلسطينية كنوع من التصدي لهذه الإبادة المجتمعية، ووسيلة من الوسائل المتاحة للمحافظة على المجتمع الفلسطيني في اللجوء، وللتواصل بين اللاجئ وأرضه وبلدته وعائلته. من خلال هذه الروابط والجمعيات، يحاول اللاجئون لملمة ما تم تشتيته، والوقوف أمام التشتيت الإضافي بإحياء شكل من أشكال التواصل الاجتماعي والعائلي، داخل وخارج المخيمات.

تمثل الروابط والجمعيات، المنتسبة الى قرى وبلدات فلسطينية، إحدى أشكال الحياة الاجتماعية في مخيمات اللجوء في لبنان. ورغم تعدد الأسباب التي تقف وراء انشاءها، إلا أنها تعمل على استعادة العلاقة مع القرية أو البلدة الأصلية التي ينتمي اليها اللاجئ، بطرق وأساليب مختلفة. متى تم إنشاء هذه الروابط والجمعيات؟ وما هي أهدافها؟ كيف تطورّت؟ وما هو النشاط أو الأنشطة التي تقوم بها اليوم؟ وما هي الحواجز والمعيقات التي تقف أمام مسيرتها؟

أثار ظهور هذه الروابط والجمعيات بعض الأسئلة: لماذا الآن؟ هل هو العودة الى العشائرية في زمن الانقسامات والتراجع التنظيمي، أم يدلّ على انتماء مادي وعاطفي الى الجذور؟ هل هو بديل عن الانتماء لفلسطين بكل أرضها وشعبها؟ وهل يشكل بديلاً عن التنظيمات السياسية الفلسطينية؟

سبّبت النكبة في العام 1948 في تشريد أكثر من 800 ألف فلسطيني عن أرضه، منهم من بقي في الوطن ومنهم من تم تهجيره الى الدول المجاورة، لا سيما الى لبنان وسوريا والأردن. تشتّتت العائلة الواحدة الى عدة دول، كما تشتت أهل البلدة الواحدة. وبسبب الأزمات الأمنية والسياسية والاقتصادية في بعض الدول، لبنان خاصة، هاجرت عائلات أو أفراد منها الى دول أخرى، خليجية وأوروبية وأميركية. أي أن الروابط العائلية والاجتماعية تفكّكت أكثر من أي زمن مضى. هل تساعد الروابط والجمعيات التي تشكلت حول الانتماء الى البلدة على تفعيل العلاقات بين عائلاتها وتمتينها، رغم البعد الجغرافي، بفضل التقنيات الجديدة؟ وهل يمكن، انطلاقاً من مخيمات اللاجئين في لبنان، تفعيل العلاقات بين العائلات المشتتة من ناحية وبين العائلات التي بقيت في فلسطين المحتلة عام 48، حول هدف العودة الى القرية والبلدة والحيّ، والتخطيط لمستقبل يجمعهم على أرضهم، حتى لا يبقى حلم العودة الى البلاد مجرد حلم غير مرتبط بالواقع؟

بعد أكثر من ستين عاماً، نشأت أجيال في اللجوء لا تعرف فلسطين إلا من خلال الذكريات والكتب، والآن من خلال شاشات التلفزة وبعض البرامج التي تسلط الضوء على الداخل، حيث تتواجد البلدات التي هجر منها اللاجئ. ماذا يعرف اللاجئ عن تكاوين أرضه وبلدته ومجتمعه المصغر قبل النكبة، وعمّا وصلت اليه الأمور اليوم؟ في الوقت الذي تشتد فيه الأزمات السياسية والضغوطات الصهيو-غربية لإلغاء حق عودة اللاجئين الى ديارهم الأصلية، يشكل الارتباط بالبلدة وبأهلها الأصليين والتواصل معهم شكلاً من أشكال مقاومة إلغاء هذا الحق وجعله ملموساً وواقعياً، إذ لم يعد يكفي الارتباط السياسي بالقضية ورفع شعار "حق العودة" في المناسبات. إن إحياء الذاكرة الفردية والجمعية، والتواصل المستمر بين الأفراد والعائلات في الوطن والشتات، والارتباط بهدف تحرير البلاد وسائل متكاملة يمكن تبنيّها في الوقت الحاضر للتصدي للإبادة المجتمعية وللمحافظة على الثروة البشرية التي تشكلها عائلات فلسطين، بكل مكوناتها، والإبقاء على حيوية هذا المجتمع، رغم النكبات المستمرة التي عصفت بأهله حتى اليوم.

1 - روابط وجمعيات في اللجوء تقاوم الإبادة المجتمعية

تنشط العديد من الروابط والجمعيات المنتسبة الى قرية أو بلدة فلسطينية في مخيمات اللجوء في لبنان. تأسس البعض منها مع بداية اللجوء والبعض الآخر في التسعينيات وما بعدها، ولكن أعيد تفعيل الأولى بعد فترة طويلة من الزمن، في حين اختفت روابط أخرى أو لم تعد ناشطة. لقد تم إحصاء 20 رابطة ناشطة تقريباً في مخيمات لبنان، من الجنوب اللبناني حتى الشمال، مروراً بمدينة بيروت، بما فيها الروابط العائلية، التي تضم أفراد عائلة أصلها من قرية معينة، كما هو حال رابطة آل رباح (قرية حطين) ورابطة آل دحويش (قرية الناعمة من "القرى السبع").

تقع القرى التي تنتمي إليها الروابط والجمعيات في الجليل، في أقضية عكا وصفد وطبريا: سحماتا وترشيحا والكابري ومجد الكروم وشعب وعمقا ودير القاسي وكويكات والشيخ داود ودانون في قضاء عكا، الظاهرية التحتا والحولة وعلما في قضاء صفد، حطين ولوبية في قضاء طبريا، وصفورية التي تقع في قضاء الناصرة.

تتوزع الروابط والجمعيات على المخيمات في لبنان كالآتي: معظم روابط وجمعيات قرى قضاء عكا موجودة في مخيمات بيروت (برج البراجنة وشاتيلا) أي ترشيحا والكابري وشعب وكويكات والشيخ داود ودانون في مخيم برج البراجنة، ومجد الكروم وعمقا في مخيم شاتيلا، في حين نشأت رابطة أهل سحماتا في مخيم البداوي، الذي يضم أيضاً رابطة أهل الحولة ورابطة الظاهرية (قضاء صفد). في مخيم عين الحلوة، تأسست رابطة عمقا (قضاء عكا) ورابطة حطين (قضاء طبريا) ورابطة صفورية (قضاء الناصرة). في مخيم الرشيدية، الى جانب رابطة دير القاسي، تأسست رابطة علما (قضاء صفد)، وفي مخيم برج الشمالي، إضافة الى جمعية الحولة (قضاء صفد) تأسست جمعية أهل لوبية (قضاء طبريا).

دمرّ الاحتلال الصهيوني معظم القرى والبلدات التي تنتمي إليها الروابط والجمعيات، وتم تشريد أغلبية أهلها، باستثناء بلدة ترشيحا التي ما تزال تحتضن جزء من أهلها، رغم مصادرة أراضيها لبناء مستوطنة "معلوت"–وتدمير أجزاء مهمة من البلدة بالقصف المدفعي والجوي. وباستثناء أيضاً بلدة مجد الكروم، التي تقع جنوب قضاء عكا، التي صادر العدو أراضيها وأراضي قرى وبلدات أخرى لبناء مستوطنة "كرمئيل"، والتي يعاني أهلها من هدم المنازل والملاحقة والاعتقال. لقد تم بناء مستوطنات يهودية على أراضي بعض هذه القرى التي تنتمي إليها الروابط (لوبية، صفورية، حطين، سحماتا) وغطت الغابات البعض الآخر (تغطي "غابة جنوب إفريقيا" أراضي لوبية). في أغلب الأحيان، بقي في فلسطين المحتلة أبناء من القرى أو العائلات التي تم تهجيرها الى خارج فلسطين، غير أنهم منعوا من العودة الى

قراهم وبلداتهم وأصبحوا مهجّرين في الداخل الفلسطيني، يسكنون الآن في المدن (الناصرة وحيفا) أو بلدات مثل سخنين وعرابة بالنسبة الى أهل حطين، أو في قرى تقع في مناطق أخرى من فلسطين (أهل كويكات في ابو سنان القريبة). في حين ما يزال الفلسطينيون يشكلون الأكثرية السكانية في قضاء عكا، انتهج الاحتلال سياسة "التطهير العرقي والديني" قي قضاءي صفد وطبريا.

لا يعني تأسيس رابطة في مخيم ما أن كل أهل القرية أو البلدة يسكنون في هذا المخيم؛ فقد تشتتت العائلات بين دول الجوار (سوريا والأردن) أولاً، ثم بين مدن ومخيمات لبنان ثانياً. غير أنه يمكن القول إن مخيمات بيروت تضم جزءاً مهماً من أهل قضاء عكا، وإن أهل قضاء طبريا (حطين، لوبية، سمرين، مثلاً) يقطنون في إحدى "مقاطع" مخيم عين الحلوة، في "حيّ حطين". بشكل عام، تأسست الروابط حيث سكن جزء كبير من أهل القرية أو البلدة، وذلك يعود الى تاريخ تشكيل مخيمات اللجوء في لبنان وكيفية تجمّع العائلات فيها، في السنوات الأولى بعد النكبة. بعد أن كانت القرى والمدن الحدودية في لبنان أولى محطات اللجوء القسري في العام 1948، تنقلت العائلات الى مناطق في الجنوب وفي البقاع قبل أن تجتمع في المخيمات الحالية. وبعد تدمير مخيمات تل الزعتر وجسر الباشا والنبطية، انضمت بعض عائلاتها الناجية الى أقاربها في المخيمات الأخرى.

تضم بعض الروابط والجميعات أبناء القرية في مخيم واحد فقط (حطين، الكابري أو مجد الكروم)، وبعضها الآخر يضم أهالي القرية الموزعين على كافة مخيمات لبنان أو بعضها (سحماتا التي تضم أهل سحماتا في مخيمي نهر البارد والبداوي شمال لبنان). تضم رابطة آل رباح من قرية حطين كل أفراد العائلة المتواجدين في فلسطين وفي المهجر.

تضم إحدى الروابط رابطة عائلية (رابطة كويكات التي تضم آل العلي)، أي أن بعض العائلات كانت قد تكتلت وانضمت ككتلة لها هيكليتها الى الرابطة القروية، الى جانب عائلات أخرى، وذلك لأن العضوية في الروابط والجمعيات تتم بشكل عام من خلال اشتراك العائلة أو الأسرة ("كارت إعاشة"). رغم انتمائها الى العائلة ذاتها قبل 1948، فقد تم بعثرة العائلات وتفتيتها من قبل الأونروا حين سجّلت أسماء الأسر المنتمية اليها وفقا لاسم الجد، أي أن أسر العائلة الواحدة أصبحت تحمل أسماء مختلفة، تعيد الروابط والجمعيات تجميعها على أساس الإنتماء الأصلي.

نشأة الروابط والجمعيات

يرجع البعض نشأة الروابط الى غياب المرجعيات السياسية وضعف المنظمات في المخيمات، حيث تقوم هذه الروابط والجمعيات بمهام اجتماعية كانت في فترة من الزمن على عاتق منظمة التحرير الفلسطينية وتنظيماتها، والى ضعف اللجان الشعبية التي كانت تقوم بحل الكثير من المشاكل المتعلقة بالبنى التحتية أو بالعلاقات بين سكانها، والى تراجع دور الأونروا التي "نقلت جزءاً من نشاطها الى الضفة الغربية وقطاع غزة" (أ. أحمد علي الحاج علي) بعد اتفاقيات أوسلو في العام 1993. يعني ذلك أن الروابط والجمعيات "القروية" حاولت سد الفراغ الناتج عن الأزمات السياسية والحروب المتكررة التي مزّقت الوجود الفلسطيني في لبنان، كما فعلت الجمعيات الأهلية والمنظمات غير الحكومية التي ظهرت، خاصة بعد اتفاقيات أوسلو التي هدّدت فعلاً حق العودة. غير أن التكتّل على أساس العائلة أو القرية والبلدة يشير الى أكثر من ذلك لأنه يركز على الانتماء العائلي أو القروي، الى جانب، أو كبديل، للانتماء السياسي الذي نما وسيطر على مخيمات اللجوء منذ الخمسينيات من القرن الماضي.

يقول الأستاذ أحمد علي الحاج علي، مؤلف كتاب "مخيم برج البراجنة، ظل الموت والحياة" (2007) إن العصبية القروية لم تكن متطورة أو حتى موجودة قبل اللجوء، لأن القرى التي نزح عنها اللاجئون كانت، قبل النكبة، بعيدة عن بعضها البعض وكانت قليلة الاحتكاك بالقرى والبلدات الأخرى؛ ولذا، بقيت الحياة القروية محصورة داخل عائلات القرية. إن كانت العصبية موجودة، فهي عصبية عائلية وليست قروية. غير أن النزوح ومسار اللجوء وتكوين المخيمات كلها عوامل ساهمت في نمو ما يمكن تسميته عصبية قروية وإضعاف العصبية العائلية، حيث عملت بعض العائلات التي وجدت أرضاً ثم عملاً في مكان ما (بيروت، برج البراجنة مثلاً) على استدعاء أهالي قريتها التي كانت مشتتة، بين مدن وقرى لبنان وفي سوريا، للحاق بها. لقد أعيد تجميع العديد من العائلات على أساس انتمائها القروي، في بداية اللجوء، وذلك قبل قدوم الأونروا وتشكيل المخيمات في بعض الحالات. هذه هي قصة تكتل عائلات ترشيحا مثلاً في مخيم برج البراجنة، غير أن عائلات قرى أخرى تم تجميعها من قبل الأونروا في مخيم واحد، كأبناء دير القاسي الذين تم نقلهم من بعلبك الى مخيم الرشيدية في العام 1963.

لعبت الأحزاب السياسية (القومية) التي انتمى إليها الفلسطينيون في لبنان، ثم منظمة التحرير الفلسطينية ومنظماتها المختلفة، دوراً مهماً في إضعاف كافة العصبيات، إلا في حالات نادرة (يذكر الأستاذ أحمد علي الحاج أحمد حالة أهل كويكات في مخيم برج البراجنة الذين ظلوا لفترة طويلة يتحركون سياسياً كجسم واحد)، واستبدلت بالانتماء للوطن من خلال التنظيمات السياسية والفدائية. وساعد على إضعاف العصبيات تطور الحياة الاقتصادية

والاجتماعية، حيث كثر التزاوج بين أبناء القرى المختلفة و"نزلت" المرأة الى سوق العمل، إضافة الى العمل النقابي وافتتاح النوادي في المخيمات.

فإن كان غياب المرجعية والأفق السياسي يكمن وراء تشكيل الروابط والجمعيات في البداية، فإن تطورها وتوسيع اهتماماتها يدلان على الشروع بترسيخ انتمائهم لفلسطين من خلال القرية والبلدة أو العائلة التي ينتمون اليها، ربما بسبب هاجس إلغاء حق العودة، بعد اتفاقيات أوسلو وإفرازاتها على الساحة الفلسطينية والإقليمية.

ما هي هذه الروابط؟ متى نشأت ولماذا؟ من هم أعضاؤها؟

تأسست "لجنة أبناء سحماتا" في مخيم البداوي سنة 2000، بسبب "الفراغ المجتمعي وتراخي الروابط العائلية" (الأستاذ نهاد عسقول). تضم الرابطة 150 عائلة في الشمال اللبناني، في مخيمي نهر البارد والبداوي وحيّ الميناء في طرابلس. بسبب غياب المقر الدائم، تجتمع لجنة مصغرّة مكونّة من 10 أعضاء شهرياً في أحد البيوت من أجل متابعة أوضاع وأعمال "لجنة أبناء سحماتا". يقدر عدد أهل سحماتا قبل النكبة بـ 1200 نسمة. توزعت عائلاتها على ضواحي دمشق، في حين لجأ أكثريتها الى لبنان حيث سكنت في المخميات أو في القرى والمدن، وهاجرت بعض عائلاتها الى دول أوروبية وعربية. تتفرع أربعة لجان عن لجنة سحماتا وهي: اللجنة المالية، اللجنة الاجتماعية، اللجنة الصحية، واللجنة التربوية. تعمل اللجنة على إصلاح ذات البين، الى جانب أنشطتها الاجتماعية والتربوية. في هذا الخصوص، تشدد اللجنة على ارتباط الجيل الجديد بالوطن من خلال علاقته بقرية سحماتا، وتقيم مسابقات للتعرف على القرية، كما توزّع وتعرض مسرحية "على أرض سحماتا". لقد أحصت اللجنة الكفاءات العلمية والمهنية لأبناء القرية. أشار موقع "هوية" الإلكتروني الى وجود لجنة أخرى لأهل سحماتا في مخيم الرشيدية.

تأسست رابطة ترشيحا الاجتماعية في مخيم برج البراجنة في العام 1978، وأعيد تأسيسها في العام 2003، بسبب الفراغ السياسي والأمني في المخيم. فلذلك، كانت الأولوية لدى الرابطة هي "خدمة أبناء البلد وتأسيس مرجعية". وقد تم ذلك بفضل مساعدين وممولّين من أهل البلد، إضافة الى أبنائه الموجودين في لبنان. يؤكد الأستاذ عادل سمارة، أحد مسؤولي الرابطة، أنه "لم يكن الهدف الأول في تأسيس الرابطة هو التواصل بل خدمة أبناء البلد في الغربة". تضم الرابطة 152 أسرة من المخيم و90 في الجوار، أي التراشحة الذين خرجوا من المخيم بعد تحسّن أوضاعهم المالية. تقيم الرابطة أنشطتها المختلفة في مقرها في حيّ "جورة ترشيحا" حيث تسكن عائلات من ترشيحا وغيرها من القرى والبلدات الفلسطينية وحيث بنت

مسجداً. يتألف المقر من ثلاث طوابق، تضم صالات للاجتماعات والاحتفالات ومكتبة صغيرة وصالة للتعليم وأخرى للرياضة. تطبيقاً لشعارها "لا مريض، لا محتاج"، تقدّم الرابطة، من خلال لجانها (طبية، اجتماعية، نسائية، رياضية، تعليمية، تربوية)، العديد من الخدمات، ليس فقط لأبناء ترشيحا، بل لأهل المخيم المحتاجين إجمالا، ولكنها تساعد أبناء البلدة حصرياً في بعض الملفات، كالمنح الجامعية والمساعدات الطبية. تحاول الرابطة تجديد الانتماء الى البلدة بدلاً عن الانتماء الى المخيم، الذي انتشر بين الأجيال التي لم تعرف إلا المخيم وابتعدت على التنظيمات السياسية. يتكلّم الأستاذ أحمد على الحاج علي عن "الهوية المخيماتية" التي نمت حول "عصبية المخيم" في فترة ما بعد الحروب التي هدّدت المخيمات، التي يمكن تفسيرها كنوع من التقوقع على الذات في حالة عدم الاستقرار وغياب الأفق السياسي. لم يعد أهل ترشيحا يشكلون اليوم التجمع الأكبر في مخيم برج البراجنة بسبب الهجرة أو الانتقال الى خارجه، فهم يشكلون الآن حوالي 10% من اللاجئين في المخيم. تقيم الرابطة علاقات مع رابطة أهل ترشيحا في مخيم النيرب، شمال سوريا، ومع الأهل في ترشيحا في فلسطين المحتلة، حيث بقيت 35% من العائلات.

تأسست رابطة أهالي مجد الكروم في العام 2000، بـ"همة بعض الشباب" بعد التوصل الى استقرار نسبي في مخيم شاتيلا، الذي مرّ بحروب متتالية أثرت على بنيته وعلى استقرار عائلاته التي اضطرت الى الهجرة ولم ترجع الى المخيم إلا في التسعينيات من القرن الماضي. السبب الأول لتأسيس الرابطة كان إحصاء أهل مجد الكروم في لبنان، والتقرب اليهم، ومعرفة احتياجاتهم ومشاركتهم أفراحهم وأحزانهم، أي مساعدتهم بقدر المستطاع، بعد المصائب التي مروا بها. والجدير بالذكر أن أهالي مجد الكروم شكلوا في بداية اللجوء أكثرية أهل مخيم شاتيلا، بل يمكن القول إنهم أسسوا المخيم. لقد أقدم الحاج عبد بشر من مجد الكروم الى استدعاء أهل البلدة الى المخيم، وكان قد دبّر الخيم من الأمم المتحدة. ثم تغيّرت الأوضاع كثيراً، إذ لا يشكل أهالي مجد الكروم اليوم إلا أقل من 20% من فلسطينيي مخيم شاتيلا.

يقول الحاج يحيى سريس، أحد المسؤولين في الرابطة، إنه في بداية تأسيس المخيم، التقت العائلات والقرى، ونمى الانتماء الى المخيم أكثر من الانتماء الى القرية، وذلك لأن "الناس كانت كلها يد واحدة" في المخيم، رغم أن اللاجئين من مجد الكروم كانوا غالبا "نسايب".

انتسبت الى الرابطة 200 أسرة من بين الـ 250 المتواجدة في المخيم، كما انتسبت إليها عائلات تسكن في مخيم عين الحلوة ومخيمات أخرى. تساهم العائلات في تمويل الرابطة (اشتراك شهري) إضافة الى تبرعات أهل البلدة الميسورين والمهاجرين. ويساهم في تمويل

نشاط الرابطة مبلغ إيجار منزل قد اشترته. تدعم الرابطة أهالي مجد الكروم المنتمية إليها بالمساعدات الطبية، وتؤمن احتياجات البعض منها، ولكنها فتحت مقرها لجميع أهل المخيم، حيث تتم مناسبات الأجر (التعزية) ونشاطات رياضية وثقافية. بعد تمكين وجودها في المخيم ونيل ثقة أهله، شرعت الرابطة الى توزيع على بعض فئاته التبرعات التي تأتي من خلالها. لم تشكل لجان متخصصة، إذ يشارك الكل في أعمالها حسب قدراته وإمكانياته، وتجتمع الرابطة أسبوعياً أو حسب الاضطرار، اضافة الى اللقاء السنوي الذي يعقد بحضور كافة المنتسبين لتقييم الأنشطة ووضع خطط جديدة. تشترك رابطة مجد الكروم في برنامج جمعية "هوية" في لبنان، وقامت بإحصاء من ولد في بلدة مجد الكروم قبل النكبة، وتم توثيق ذكرياتهم.

تأسست رابطة دير القاسي في مخيم الرشيدية في العام 1990، من أجل سد احتياجات أهل المخيم؛ ولكن تم التكتل حول العائلة والقرية الأصلية لأسباب "عملية"؛ إذ نشطت روابط أخرى في بادئ الأمر، ولكن توقف نشاط أكثريتها. الى جانب مساعدة أهل البلد في الأفراح والأتراح، أي توفير الكراسي وشراء بعض الاحتياجات خلال هذه المناسبات، كانت الرابطة تسعى الى التعاضد الاجتماعي بين أبناء البلدة. وفي حين يشكل أهل دير القاسي ما بين 10 الى 12% من سكان المخيم، انتسبت 100 عائلة من أصل 150 الى الرابطة، وتساهم في تمويل نشاطها باشتراك شهري. وفي المناسبات، تأتي مساعدات من أهل البلدة المهاجرين الى الخارج.

افتتحت الرابطة مقرها في العام 2010، وهو تقدمة من الأستاذ عبد طه معروف، الذي بناه عن روح زوجته. يعتبر المسؤولون أن وجود المقر ساهم بشكل كبير بمأسسة الرابطة التي تقيم الآن جمعيات عمومية ويتم انتخاب هيئة إدارية. وفي آخر اجتماع لها (آذار 2014) تم إعادة انتخاب الهيئة الإدارية مع توصية بإشراك الفئات الشبابية والنسائية في المسؤوليات. للمقر فوائد أخرى، كما يوضح الأستاذ نمر حوراني، إذ يسمح بتنويع الأنشطة وإشراك مجتمع المخيم فيها. كما هو الحال في بقية المخيمات والروابط الأخرى، وجود مقر للرابطة يساعد على انفتاحها على كافة أبناء المخيم وكافة قواه الاجتماعية والسياسية، حيث تتم في المقر اجتماعات وفعاليات مختلفة، إضافة الى لقاء أبناء دير القاسي خلال التعازي والأفراح.

يتوزع أبناء دير القاسي بين عدة مخيمات ومدن في لبنان، من صور الى طرابلس، ومن مخيم برج الشمالي الى مخيم برج البراجنة والبداوي، ويساهم العديد منهم في دعم الرابطة الموجودة في مخيم الرشيدية، إذ لم يشكل هؤلاء رابطة أخرى تجمع أهل البلدة. كانت بلدة دير القاسي القريبة من الحدود اللبنانية تعد 1800 نسمة قبل النكبة، ولم يبق أحد من أهلها في فلسطين المحتلة. بعد نزوحهم الى عيتا الشعب في العام 1948، تنقلوا من بنت جبيل الى بعلبك

حيث مكثوا 15 سنة، ثم جاءت بهم الأونروا الى مخيم الرشيدية في منطقة صور في العام 1963، وتبعثرت العائلات الأخرى. ومن بين الذين سكنوا في المخيم، سافر العديد منهم الى دول الخليج منذ الستينيات من القرن الماضي، ونزح فيما بعد آخرون بسبب التهديدات والاعتداءات الصهيونية على الجنوب اللبناني. تقوم الرابطة منذ 2005 بدعم أهل البلدة من خلال صندوق طوارئ يقدم القروض لمن يحتاجها، كما تشارك مع جمعية في مخيم برج الشمالي في صندوق تكافل اجتماعي وصحي، لصالح أبناء البلدة المنتسبين الى الرابطة.

تأسست رابطة الكابري الاجتماعية في مخيم برج البراجنة في العام 2003، ثم توقف عملها لأسباب داخلية، وعادت الى الواجهة في عام 2010 بعد تعديل النظام الداخلي ودون انتخاب أمين سر. يسكن 90% من أهل قرية الكابري التي دمرها العدو بالكامل، في مخيم برج البراجنة. تتألف الرابطة من أبناء الكابري الذين ينتخبون هيئة إدارية، مكونة من لجنة اجتماعية، ولجنة إعلامية، ولجنة علاقات عامة ولجنة ثقافية، لكن الأخيرة غير فاعلة الآن. تزور اللجنة الاجتماعية أهل البلدة والمرضى وكبار السن، وتساعد العائلات في حالات العزاء والأفراح. تقوم لجنة العلاقات العامة بتمتين العلاقات مع الجوار من أجل ترسيخ الأمن الاجتماعي، في "غياب المرجعية السياسية"، كما تتواصل مع الكوابرة في الخارج. ما تزال بعض العائلات من الكابري تعيش في مدن وقرى فلسطين المحتلة، تحت عنوان "مهجرّي الداخل" ولا يستطيعون العودة الى قريتهم. فقد أقام العدو مستوطنة على أراضي الكابري وبنى نصباً تذكارياً لليهود الذين قتلوا في عملية فدائية شنها أهل الكابري في العام 1948.

تعيش ما يقرب من 500 عائلة من الكابري في مخيم برج البراجنة، موزعة على عدة أحياء في المخيم؛ ولكن هاجر العديد من شبابها الى الدول الأوروبية. انتسب حوالي 70% من عائلات الكابري في المخيم الى الرابطة التي تأسست من أجل الانتماء الى فلسطين والقضية والعودة، ومن أجل المحافظة على المخيم وأمنه بعد "ضياع" التنظيمات. تجتمع الرابطة في مقرها المستأجر مرتين في الشهر، وتستقبل اشتراكات أعضائها وتبرعات الخيّرين من أهل الكابري.

تأسست رابطة الكويكات الاجتماعية في مخيم برج البراجنة في العام 2008، بعد تشكيل الروابط الأخرى التي رأت فيها فائدة للجميع. تضم الرابطة 12 عائلة من بين 16 تعيش في المخيم، وكل عائلة مكونة من العشرات من الأسر، ليصل العدد الإجمالي الى اشتراك 320 من حاملي "كارت إعاشة" في الرابطة. افتتحت الرابطة مقرها في المخيم للتعويض عن ضيق مساحة البيوت حيث لا يمكن تأدية واجب العزاء وغيرها من المناسبات الاجتماعية. وضعت الرابطة نظاماً داخلياً حددت فيه الأنشطة التي تنوي القيام بها لمساعدة أهل القرية واللاجئين

الآخرين في المخيم. توزعت عائلات الكويكات على عدة مناطق في لبنان، قرب صيدا وفي الرشيدية، إضافة الى مخيم برج البراجنة، وتسكن بعض عائلاتها اللاجئة في سوريا. أما في فلسطين المحتلة، فما تزال بعض العائلات تعيش في قرى قريبة من الكويكات، مثل أبو سنان وكفر ياسيف، بعد تهجير كافة أهالي البلدة. استوطنت عائلات يهودية في بيوت القرية التي لم تهدم، وتستخدم بناء المدرسة كمقرّ لها.

حصلت الرابطة على بعض صور القرية، بعد زيارة قام بها أحد أبنائها، وهي التي تزيّن جدران مقرّها في مخيم برج البراجنة؛ ولكن العلاقات بين الرابطة والداخل واللاجئين في سوريا غير موجودة إلا على المستوى الشخصي، حيث يتم الاتصال عن طريق الهاتف للاطمئنان على الأحوال؛ إذ يؤكد الحاج جمال العلي على ضرورة "المحافظة على صلة الرحم والعلاقات مع الأقارب"، سواء أكانوا في سوريا أو في الوطن المحتل.

تشكلت "لجنة أهالي بلدة حطين" في عين الحلوة، في العام 2005، بعد حادثة أمنية في العام 2004، سقط ضحيتها شخص ينتمي الى عائلة من حطين. عندها، تجمع كبار القرية وقرروا وضع حد لتداعيات الحادثة، ما يفيد أن غياب المرجعية السياسية والأمنية الفلسطينية في المخيم كان السبب المباشر لتشكيل اللجنة. ثم انتقلت اللجنة الى حل مشاكل أخرى في "حي حطين"، كالمياه والكهرباء وأخيراً البنى التحتية التي تعمل الأونروا على إعادة ترميمها. يقتصر دور اللجنة، في هذا المجال، على الوساطة والتواصل بين سكان الحيّ من جهة، ولجنة مهندسي الأونروا من جهة أخرى، لتسهيل عملها. إضافة الى هذا الدور المميّز بسبب وجود "قاطع" كثرت فيه عائلات حطين، تقوم اللجنة بحل المشاكل الفردية والاجتماعية، فهي تحل الخلافات وتسقط الدعاوى التي قد تقام بين العائلات. بعد تأسيسها من قبل "كبار" أهل حطين، استلم الشباب المهام اليومية، فتفرز كل عائلة، من الـ 14 عائلة المنتمية الى اللجنة، اثنين من أعضائها لتمثيلها في هيئة تتابع أوضاع الحيّ واللجنة. تجتمع هذه الهيئة بشكل دوري، وخصصت صندوقا تموله الاشتراكات (مساهمة كل فرد متزوج) والتبرعات من أهل حطين في الخارج. لا تمثل اللجنة العائلات خارج مخيم عين الحلوة.

الى جانب هذه اللجنة، تجمع رابطة آل رباح، من قرية حطين، كافة الأسر المنتمية الى العائلة في كافة أماكن تواجدها، في فلسطين المحتلة أو في سوريا والأردن أو في المهجر. مقرها في حيّ حطين في مخيم عين الحلوة. العلاقة التي تجمع الرابطتين طيبة ومتكاملة. تأسست رابطة آل رباح منذ "بداية العمل الفدائي" ولكنها نشطت بشكل ملحوظ بعد افتتاح مقرها وبناء جامع، إذ يتبرع لها ميسورون من العائلة يعملون في الخليج (صندوق المهندس جمال رباح).

تأسست جمعية لوبية الخيرية سنة 1990 في مخيم برج الشمالي، ولكن تعطل عملها لأسباب داخلية خلال ثلاث سنوات، ثم أعيد تأسيسها "لجمع الناس على عمل الخير والمصلحة العامة". تضم الجمعية 200 أسرة من أصل 300 من قرية لوبية، متواجدة في المخيم، كما يضم المخيم 20% من أبناء لوبية. هاجر الكثير من أبناء القرية الى الخارج، ولكن استمر التواصل معهم ، حيث يساعدون الجمعية لتنفيذ مشاريعها. ولكن لا تقيم الجمعية علاقات مع الأهل الذين ما يزالون يعيشون في فلسطين المحتلة، أي "المهجّرين" بعد تدمير القرية وبناء مستوطنات يهودية وغابة على أراضيها. وكانت لوبية أكبر بلدة في قضاء طبريا قبل العام 1948 حيث كان عدد سكانها 6000 نسمة.

تضم الهيئة الإدارية لجمعية لوبية الخيرية 19 عضواً، يتم انتخابهم من قبل أهل القرية في المخيم. وتتواصل الجمعية مع الجمعيات الأخرى في المخيم، كجمعية أبناء الحولة، للقيام بأنشطة مختلفة، أولها مساعدة الأهالي بسبب تراكم الصعوبات على الناس. تنشط الجمعية اجتماعيا، فتوزع حصص تموينية خلال شهر رمضان، لكل أبناء المخيم وليس فقط لأبناء لوبية، كما تقوم بتكريم جيل الآباء من البلدة. لدى الجمعية مقر، لكنه غير متوفر حالياً، إذ استأجرته الاونروا لإسكان النازحين من سوريا.

تأسست "الرابطة الإجتماعية لأهالي الظاهرية" في مخيم البداوي، في العام 1962 من قبل "الآباء" لمساعدة الأهالي على حلّ مشاكلهم، غير أنها نشطت مجدداً بعد غياب طويل، في بداية التسعينيات من القرن الماضي. بعد شراء الرابطة لمقرها، بفضل تبرعات أهل الظاهرية المهاجرين الى دول أوروبية، استقبلت فيه أهل المخيم، وليس فقط عائلات الظاهرية. تهتم الرابطة بالمحافظة على تقاليد وعادات القرية، وتربط الأجيال الشابة بقريتهم عبر مسابقات تمتحن الشباب حول معلوماتهم عنها وأصدرت كتابا من تأليف أحد أعضائها، الأستاذ سليم حسني زيد، بعنوان "الظاهرية التحتا، قرية من أرض الرسالات"، يوثق تاريخ القرية وعائلاتها والحياة فيها قبل النكبة، وتقاليد أهلها ونضالاتهم. وفي الكتاب أيضاً ملاحق تشير الى اهتمام الرابطة والمؤلف بالمتخرجين من الجامعات من أهل الظاهرية، ووثائق تاريخية رسمية وصور عن القرية المهجّرة، التي لم يعد يسكنها أحد اليوم. هجّرت أيضاً بعض أهل القرية الى سوريا، حيث أقيمت رابطة تضم عائلاتها، وفي الأردن حيث تشكلت رابطة آل زيد الكيلاني. رصدت الرابطة ما يقارب 2000 نسمة من أهل الظاهرية موزعين بين بيروت وصيدا، انضمت بعض عائلاتها الى الرابطة في مخيم البداوي الذي يضم معظم عائلات القرية.

تأسست رابطة علما الخيرية في مخيم الرشيدية في العام 1991، من قبل الجيل الذي عاش في فلسطين. كان يطمح جيل الآباء الى المحافظة على صلة الرحم وتجميع أهل البلدة،

والتأكيد على الانتماء لفلسطين، واستمرارية الذاكرة لدى الأجيال الشابة، إذ ما يهم أبناء البلدة ويصرون على إعلانه، هو العودة الى فلسطين والى قرية علما. لم تسمح الظروف المتقلبة وغير المستقرة التي عاشها المخيم قبل بداية التسعينيات من القرن الماضي، بتأسيس رابطة تجمع عائلاتها.

دمرت القوى الصهيونية بلدة علما بالكامل في العام 1948، ولم يبق في فلسطين إلا أفراد نزحوا الى بلدات أخرى، أما أكثرية أهلها فهجّروا الى لبنان، والبعض الى سوريا. تسكن بعض العائلات في مخيم الرشيدية، وانتقل بعضها الآخر الى مخيمات أخرى، كمخيم الجليل في البقاع مثلاً، وبعضها الآخر انقطعت سلالته، كما هو حال بعض عائلات علما التي سكنت مخيم تل الزعتر. تشكلت روابط لقرية علما في مخيمات أخرى، ولكن بقيت رابطة علما الخيرية في مخيم الرشيدية هي الأساس التي تجمع الجميع، في لبنان وفي بلدان أخرى. تضم الرابطة 45 عائلة من علما، 10 منهم في مخيم الرشيدية. وتشكل عائلات علما ما يقارب 7% الى 8% من الفلسطينيين في المخيم.

يؤكد مسؤولو الرابطة على أهمية دور الجيل القديم في تأسيسها ، بل وفي استمراريتها وتواصل عائلات البلدة فيما بينهم، لأنه من خلال وبفضل هذا الجيل الذي يعرف أصل وتفرّع العائلات، تستعيد العائلات الروابط التي جمعتها في الماضي، وذلك لأن تسجيل أسماء العائلات في اللجوء تم بشكل عشوائي، اذ استبدل اسم العائلة باسم الجد. افتتحت الرابطة مقرها، إلا أنها ما تزال تعدّه لاستقبال الأنشطة التي تنوي إقامتها، وهي أنشطة تثقيفية واجتماعية، وتشارك الجمعيات الأخرى في نشاطها الديني والسياسي والوطني. ولكن يبقى الهدف الأساسي هو التواصل وزيارة المرضى وتكريم الطلاب والحجاج، ومساعدة أهل البلدة قدر المستطاع في المسائل الطبية وغيرها. تقيم الرابطة معرض التراثيات لتذكير الجيل الشاب بالبلدة وتمتين علاقته بها. تجتمع الجمعية العمومية، التي تضم كل أهل البلدة في لبنان والخارج، كل سنتين، حيث يستقيل الطاقم الإداري ويتم انتخاب غيره.

<u>رابطة آل دحويش</u> تضم الأسر التي تنتمي الى عائلة دحويش في مخيم وبلدة برج الشمالي، وهي عائلة يعود أصلها الى قرية الناعمة، إحدى "قرى السبع" التي تم تجنيس أهلها في العام 1994. تعتبر أكبر عائلة في المخيم وأكبر عائلة في قرية الناعمة وموزّعة، كباقي عائلات القرية، على مدن ومخيمات أخرى في لبنان، في حين نزح البعض منها الى سوريا. رغم الجنسية اللبنانية التي اكتسبها 80% من أفراد العائلة، لم تتغير أوضاعهم المعيشية؛ فالقليل من المجنسين يجدون عملاً، ولذلك هاجر الكثير من أفرادها الى الدول الأوروبية. تم تأسيس الرابطة "بشكل عفوي" من قبل شيخ العائلة، ثم تشتتت العائلة في العام 1982 بعد الاجتياح

وقصف برج الشمالي، البلدة والمخيم، وأعيد تفعيلها بعد استقرار الأوضاع. تشترك الرابطة في الجمعيات الناشطة في المخيم، مثل "الشروع" و"الرؤى العالمية" و"أصحاب المهن" من أجل "تحسين الظروف الاقتصادية".

أقامت الرابطة مشروع "المحبة والعطاء"، حيث تشترك أسر العائلة في تمويل صندوق يساعد الحالات المستعصية ويغطي حالات الوفاة لكل أبناء المخيم. تشجع الرابطة أبناءها على الانخراط في العمل الاجتماعي والجمعيات والمؤسسات المتواجدة في المخيم، ويشارك أبناؤها في الفرق التراثية. ورغم عدم وجود مقر تجتمع وتنشط فيه، وهو ما تسعى اليه، تقوم الرابطة بتوزيع بعض المساعدات التي تأتيها من خلال علاقاتها مع أطراف خارج المخيم. أحصت الرابطة الحالات الفقيرة والصعبة، وتساعدها من خلال تبرع فاعلي الخير. تعتبر الرابطة أن "تقاعس المنظمات" جعلتها تأخذ الأمور بيدها، تطبيقا للقول "ابدأ بنفسك".

كون عائلة دحويش تمثل الجزء الأكبر من أهل الناعمة، رأت أنه من الأفضل تشكيل رابطة للعائلة، وليس للقرية، حيث ستكون مهيمنة. تعيش عائلة دحويش الى جانب عائلات أخرى من الناعمة في حيّ من المخيم. لقد سقط من العائلة شهيد يوم مسيرة العودة في 15 أيار 2011، هو الشهيد محمد الصالح، 17 عاما، ويفخر آل دحويش بأنهم قدموا عدداً كبيراً من الشهداء في مسيرة الثورة الفلسطينية.

2 – روابط وجمعيات لدعم صمود المجتمع الفلسطيني

من خلال متابعة أنشطة الروابط والجمعيات التابعة لقرى وبلدات فلسطينية، اتضح أنها تقوم أو تحاول القيام بمهام متنوعة، اجتماعية وخيرية وتثقيفية وطبية، وتحاول إصلاح ذات البين، وتسوية المشاكل والخلافات العائلية، والحفاظ على المخيمات وأهلها والمساهمة في حفظ أمنها، لأنها تعتبر نفسها جزءاً من اللجوء الفلسطيني، وجزءاً من هذه المخيمات؛ فوجودها ونشاطها مرتبطان بالاستقرار الأمني والمجتمعي الفلسطيني واللبناني معاً. تنوعت الوسائل والمبادرات التي اتخذتها تلك الروابط لسد الثغرات التي ظهرت بعد "حروب المخيمات" واتفاقيات أوسلو وغياب المرجعية الفلسطينية السياسية والأمنية الواحدة في المخيمات، وعدم تجاوب الجهات اللبنانية للمطالب الفلسطينية المحقة. فما هي هذه الوسائل والمبادرات؟ وكيف تنظر الفصائل الفلسطينية الى جهودها ومحاولات تكتلها؟ وكيف يمكن تحديد دورها في المخيمات؟

رغم أنها لا تضم إلا نسبة متواضعة من العائلات الفلسطينية اللاجئة في لبنان، تشكل الروابط والجمعيات إحدى حلقات صمود الشعب الفلسطيني في اللجوء، وذلك لأنها تقوم أولاً بإعادة اللحمة بين العائلات مقابل عملية تفتيتها، وتقوم ثانياً بمهام شتى تساعد اللاجئين في حياتهم اليومية وتسد بعض احتياجاتهم. تعددت المبادرات، من توزيع المؤن والمساعدات المالية الى فتح صفوف تقوية لطلاب المدارس (رابطة ترشيحا ورابطة حطين)، والمساهمة في تقديم المنح الجامعية، وإنشاء صندوق طوارئ لأبناء الرابطة، أو القيام بأنشطة رياضية وأمسيات ثقافية. خلافاً للجمعيات غير الحكومية التي تعمل في المخيمات، تبقى الروابط ملتزمة بالتمويل المحلي عبر اشتراكات أعضائها وتبرعات الميسورين من أهلها الذين اضطروا للهجرة، أي تبقى أولوياتها خدمة المجتمع وفقاً لاحتياجاته وليس وفقاً لما يراه المموّلون. يتابع البعض منها شؤون الحيّ وتلتقي بالأونروا وتسهل عملها (لجنة حطين)، أو تستقبل حملاتها في مقراتها (رابطة دير القاسي) أو تؤجر لها مقرها (رابطة لوبية). تنظم الأغلبية ندوات سياسية في مقارها في المناسبات الوطنية، وتلتقي بالفصائل واللجان الشعبية والأمنية، كإطار أهلي حريص على أمن المخيمات. تساهم روابط أخرى في الحياة التعليمية بشكل مباشر من خلال التواصل مع المدارس والمعلمين (رابطة الظاهرية)، أو فتح روضة أطفال والحياة الصحية، كتأمين سيارة إسعاف مجانية (رابطة آل رباح)، وتسهيلات مادية للمرضى من خلال التعاون مع مؤسسات طبية في الجوار (رابطة ترشيحا سابقا).

تجمع بعض الروابط المستقرة تبرعات من جهات عدة، لبنانية أو غيرها، لتوزعها على عائلات المخيم وليس على المنتسبين إليها فقط، وتدير برامج رعاية وتبني الأيتام (رابطة مجد الكروم). تشارك معظم الروابط بالفعاليات الوطنية التي تقام في المخيمات، وتتشاور مع الفصائل واللجان الشعبية وتنسق نشاطها مع جهات عديدة. وفي مخيم البداوي الذي احتضن النازحين من أهل مخيم نهر البارد في العام 2007، تشارك رابطة الظاهرية في "لجنة الأخوة" لمعالجة المشاكل التي يواجهها النازحون. قامت بعض الروابط بإحصاء العائلات المحتاجة من البلدة أو في المخيم، وإحصاء المتخرجين من الجامعات، وإحصاء الكفاءات العلمية (رابطة سحماتا).

استمرّ التواصل بين المهاجرين الى الدول العربية الأخرى أو الأوروبية وبين الروابط، من خلال دعمهم المادي والمعنوي، ومشاركتهم أحياناً في الجمعيات العمومية التي تجتمع في الصيف (رابطة علما) لمناقشة أوضاع الرابطة ونشاطها. فوجود الرابطة يشدهم الى التفكير بأهلهم وتحسين أوضاع معيشتهم، من خلال دعمها وتطويرها. وفي غياب أي علاقة مباشرة مع الأهل في الأرض المحتلة، تبقى العلاقة مع الرابطة جسراً الى فلسطين، طالما عملت هذه

الأخيرة على توعية الأجيال الشابة حول العودة وحق العودة. كما أن وجود الرابطة أبقى التواصل حيّاً بين الذين خرجوا للسكن خارج المخيم من جهة والذين ما يزالون يعيشون في أحيائه، من جهة أخرى.

ترفض الروابط اعتبار وجودها على أنه عودة الى العشائرية أو اعتبارها بديلاً عن التنظيمات السياسية؛ فهي إحدى مكوّنات مجتمع اللاجئين الفلسطينيين في لبنان، وتسعى من خلال الترابط بين العائلات الى إعادة إحياء ما دمّره الاحتلال، من تشتت وتقطيع لأوصال الوطن. يشكل انفتاحها على المخيم والقضية الوطنية ضمانة لعدم انغلاقها على الانتماء العشائري، رغم أنها تقدّم بعض الخدمات لأبناء بلداتها حصراً، وذلك لأسباب مادية وقلة مواردها. يفيد الأستاذ أحمد علي الحاج علي أنها تتجاوز العشائرية أيضاً عندما ينتسب اليها أبناء من قرى وبلدات أخرى تعتبر "أقلية" في المخيمات، كما هو الحال في بعض الروابط، كما أن بعضها سمح المشاركة في الانتخابات لزوج المرأة، حتى وإن كان لبنانياً.

تعلن كافة الروابط أنها على "مسافة واحدة" من التنظيمات، وتشدّد البعض منها على رفض تولي مناصب عالية أو الرئاسة في الرابطة من قبل أشخاص ينتمون الى الفصائل، كما ترفض أي حديث سياسي (بالمعنى الضيّق) خلال اجتماعاتها (رابطة الكويكات)؛ ولكن ذلك لا يعني أنها غير مهتمة بالأمور السياسية، أو أنها لا تلتقي بالقيادات السياسية؛ ولكنها تؤكد على أنها غير تابعة لأي فصيل من الفصائل، رغم انتماء أعضائها الى الفصائل كافة ووجود قياديين من تلك الفصائل بين أعضائها. ولكن تبقى الروابط الساحة المناسبة للقاء بين أبناء البلدة، بعيداً عن انتماءاتهم السياسية، لتدبير أمورهم وتفعيل نشاطهم. على سبيل المثال، تمنع الروابط التكتل الحزبي في انتخاباتها، ما تعتبره "خطاً أحمر" لأنه يؤدي حتماً الى انقسام الرابطة، كما يوضّح الأستاذ الحاج علي.

من بين الأسباب التي وقفت وراء نشأة الروابط كان "تقصير (المنظمات) عن حماية أهل المخيمات" ووجود "ثغرات أمنية واجتماعية وصحية" (لجنة حطين)، وغياب المرجعية الجامعة، وتراجع الخدمات بعد اتفاقيات أوسلو في العام 1993، وضعف الثقة بالمنظمات وبمؤسساتها التي أصبحت فئوية وغير قادرة على تبني سياسة أهلية وطنية جامعة. كلها عوامل دفعت الى تأسيس روابط وجمعيات أهلية خارج الأطر الفصائلية، تحاول سدّ بعض هذه الثغرات؛ إذ لا تستطيع الروابط والجمعيات الحلول مكان التنظيمات، فـ"قدرات التغيير لا نمتلكها، نمتلك فقط الصوت"، يقول أحد مسؤولي الروابط، الذي يضيف أن الروابط تشكل "الإطار الأهلي العام القادر على التوجيه نحو الإصلاح، في مواجهة الفصائل والمؤسسات".

أسست الفصائل جمعيات ونوادٍ تؤمّن بعض الخدمات الاجتماعية لأبناء المخيمات؛ ولكن الروابط تؤدي أدواراً مختلفة، وفقاً لما يقوله الأستاذ الحاج علي: "الروابط تخوض نضالاً اجتماعياً، فبعضها يطالب الأونروا ببعض الخدمات أو التحسينات، كما تطالب الفصائل بخطة أمنية، وكثيراً ما تلتقي بهم. فهي تلعب دوراً سياسياً وأمنياً"، من هذا المنظار. ويعتبر الحاج علي أنه لو كانت الأوضاع السياسية والأمنية في المخيمات مختلفة، ولو كانت المنظمات تقوم فعلاً بدورها، لما احتاجت الروابط الى القيام بهذا الدور. ربما كان هذا الدور المطلبي الذي يقتصر على حث الفصائل لوضع خطة أمنية فاعلة، كمؤسسة أهلية في المخيم، أو اقامة العلاقة المباشرة مع مؤسسات مثل الأونروا، هو ما جعل الفصائل تنظر بريبة الى الروابط، في حين تكتفي النوادي الاجتماعية التابعة لها أو غيرها بالقيام بدور اجتماعي غير مطلبي.

رغم هذا "الحياد الإيجابي" (رابطة الظاهرية)، واجهت الروابط والجمعيات متاعب من قبل بعض التنظيمات التي رأت فيها عنصر إخلال للتوازنات القائمة، في أول نشأتها. كما لاقت صعوبات في مسيرة تكتلها، في مخيم البدواي ومخيم برج البراجنة مثلاً، لأن بعض الفصائل خشيت من اتساع دورها، كما صرّح بذلك أكثر من مسؤول، لا سيما وأنها شعرت بضعفها وفشلها أمام نشاط الروابط، كونها تركت فراغاً في الساحة تحاول الروابط تعبئته، متحررة من الاملاءات والتوازنات ورواسب الماضي. يفيد الأستاذ الحاج علي إن أي نجاح يكلل نشاطاً معيّناً لإحدى الروابط يفضح الفصائل وفشلهم أمام الجمهور، وذلك لأن الروابط تقوم بجزأ من المهام الموكلة لهم. هذا ما أكده مسؤولو رابطة الكابري؛ إذ تقوم لجنة العلاقات العامة بزيارة الجوار (هيئات في برج البراجنة) وتساهم في حفظ "الأمن الاجتماعي" في المخيم ومع الجوار. في مخيم الرشيدية أيضاً، تحاول رابطة دير القاسي المحافظة على "الأمن الإجتماعي" من خلال مشاركتها في اللجنة الشعبية، كما أن الروابط تمارس نوعاً من الرقابة على أداء المؤسسات الخدماتية، ومنها اللجان الشعبية. كل هذه الأمور جعلت الفصائل تقف أحيانا في وجه تكتل الروابط.

لقد حاولت الروابط والجمعيات العاملة في مخيم البداوي، في الثمانينات من القرن الماضي، انشاء اتحاد الروابط الذي جمع من 6 الى 7 روابط، إلا أن المشروع فشل بسبب وقوف الفصائل ضده في ذلك الحين، حسبما أكّد الحاج أبو هيثم زيد في رابطة الظاهرية، الذي يتذكر أن الفصائل واللجنة الشعبية اتخذت موقفاً عدائياً في البداية، قبل تسوية الأمور فيما بعد. وفي مخيم برج البراجنة، أقيم "اتحاد الروابط في مخيم برج البراجنة" في العام 2011 هدفه إيجاد "رأي عام أهلي لا يصطدم بالسقف السياسي للفصائل"، ضمّ 6 روابط في البداية، روابط الكابري، ترشيحا، كويكات، الشيخ داود ودنون، عكا والغابسية. وكما يقول الأستاذ عادل

سمارة، من رابطة ترشيحا، وقفت الفصائل ضده، فاصطدم الاتحاد "بعدم التفهم من قبل الفصائل" في حين كان الهدف هو "تعزيز الروابط بين أبناء المخيم".

ما هو الدور الذي يمكن أن تقوم به هذه الروابط والجمعيات ؟ إنها تلبي اليوم بعض احتياجات أفرادها المعيشية أو بعض الفئات الاجتماعية، في غياب مؤسسات جامعة فلسطينية (غياب مستشفيات صالحة تلبي كل احتياجات اللاجئين مثلاً)، وفي غياب حقوق اللاجئين الإنسانية والاجتماعية التي ترفض الدولة اللبنانية إقرارها لتسهيل حياتهم (لا سيما حق العمل). إنها تقوم بمهام تعليمية وثقافية ورياضية لتربية الأجيال الشابة وربطهم بالقضية الوطنية، كما تفعل العديد من المؤسسات والجمعيات الأخرى في المخيمات، ولكنها تختلف عن بعضها كونها غير فصائلية وعن البعض الآخر كونها غير تابعة للتمويل الأجنبي وبرامجه. رغم بداياتها المتعثرة والطريق الخدماتي التي اضطرت الى سلكه لسد الثغرات وملء الفراغ أحياناً، وما تدل عليه أسماؤها "الخيرية" والإجتماعية"، يبدو أنها تتجه أكثر فأكثر الى لعب دور محوري في عملية التوعية الوطنية، لا سيما في مسألة الارتباط بالوطن واستعادته والتمسك بحق العودة إليه. من هذا المنطلق، فإن تشجيع وتفعيل تلك الروابط والجمعيات ودعم تكتلاتها في المخيمات يخدم أولاً الهدف الوطني الفلسطيني، حتى وإن اعتبرت التنظيمات السياسية أنها "تتجاوز حدودها" في بعض المسائل. وفي ظل محاولات اختراق المخيمات والبعث بأمنها من قبل جهات عديدة، تدعم الروابط والجمعيات "القروية" الجهود التي تبذلها جهات أخرى من خلال تأمين شبكات عائلية مترابطة ومتضامنة ترفض الإساءة الى المخيم وجواره.

يبقى الأهم من أجل استمراريتها وتطوير أدائها، هو حفظ الاستقرار والأمن في المخيمات؛ إذ اتضح أن العديد من الروابط لم تنشأ قبل استتباب الأمن والإستقرار وعودة أهل المخيم إليه، بعد الحروب والمشاكل التي عصفت بها.

3 – روابط وجمعيات تطمح للعودة الى فلسطين

بعد أكثر من ستين عاماً على النكبة والنزوح، لم تغب تماماً معالم القرى والبلدات المهجّرة والمدمّرة لدى كبار السن من اللاجئين ومهجرّي الداخل. في لبنان، تسعى روابط وجمعيات الى إحيائها من جديد وتعميمها على أبناء هذه القرى، من خلال الصور الحديثة أو القديمة، والمقتنيات التي حملها الأهل من فلسطين، ومن خلال لوائح العائلات التي كانت تسكن هذه القرى قبل النكبة، تاريخها وتفرعاتها أحياناً، ومن خلال تاريخ القرية والبلدة والمنطقة الذي وثقته بعض الكتب المتخصصة وبرامج "التاريخ الشفهي"، ومن خلال إعادة رسم خرائط القرية

والبلدة، كما كانت قبل التدمير والتهجير. من ناحية أخرى، حافظت بعض العائلات على علاقاتها مع أقاربها في فلسطين المحتلة، واستعادها البعض الآخر في الفترة الأخيرة، إلا أن العلاقات الأشمل بين اللاجئين من جهة وأبناء البلدة الذين بقوا على أرضهم من جهة أخرى غير متوفرة حتى الآن، عبر الروابط والجمعيات، إلا في حالتين، ترشيحا وسحماتا في الجليل. تؤمن دراسة هاتين الحالتين فهم الآليات التي تسمح بتطوير العلاقة بين اللاجئين وفلسطينيي الداخل، سواء أكانوا يعيشون في بلدتهم أم هُجروا عنها، وذلك لأهمية تعميم العلاقة وتمتينها بين هاتين الفئتين من الشعب الفلسطيني، اللتين تم تهميشهما في "الحلول" السياسية المطروحة دولياً وإقليمياً.

تحيي الروابط علاقتها بالقرى المدمّرة والمهجرّة من خلال الصور التي تزيّن مقراتها: صور حديثة أحياناً كالتي تزين جدران مقر رابطة الكويكات، حيث تظهر المدرسة والبيوت التي استولى عليها المستوطنون، وأشجار الزيتون المعمّرة والمطحنة، أو صور قرية دير القاسي وثقت بجانبها أسماء عائلاتها، أو صور الظاهرية التحتا التي أرسلتها المصورة مقبولة نصار من حيفا الى الرابطة، أو صورة حديثة لمجد الكروم تتصدر مقر الرابطة في مخيم شاتيلا. يبدو أن معظم الروابط سعت للحصول على صور حديثة لإضافتها الى صور النكبة وما قبلها.

تسعى الروابط والجمعيات الى توثيق أسماء العائلات التي كانت تعيش في القرية قبل تشتتها، ضمن مشروع واسع أقدمت عليه عدة جمعيات ومواقع إلكترونية، مستغلة التقدم التكنولوجي وإمكانيات التواصل الجديدة. تشكلت نقطة انطلاق هذا المشروع من خشية إلغاء أو الانتقاص من حق العودة بعد اتفاقيات أوسلو، كما ورد في تقارير ومشاريع غربية اقترحت عودة فقط الجيل الذي تم تهجيره. ثم تطوّر المشروع لتسجيل العائلات وتفرعاتها لضمان حقوق كافة اللاجئين. غير أن هذا التسجيل له فوائد أخرى، منها تأمين أرضية للتلاقي واستعادة علاقات القربى التي انقطعت بعد النكبة.

في بلدة ترشيحا، حيث بقي 35% من أهلها، تم توثيق أسماء العائلات التي هجرت وتلك التي ما تزال في البلاد على جدارية. وثقت بعض الروابط شهداء القرية، مثل رابطة الكابري حيث سقط 117 شهيداً منذ العام 1936، ورابطة مجد الكروم التي وثقت أسماء شهداء البلدة قبل 1948، وشهداء مجد الكروم في مخيم شاتيلا، كما وثقت روابط أخرى أسماء شهدائها في الكتب (لوبية)، في حين أقدمت بعض الروابط على رسم شجرة بعض العائلات، كآل زيد في رابطة الظاهرية التحتا، وآل سريس في رابطة مجد الكروم (بمشاركة موقع "هوية").

تحتفظ عدة روابط وجمعيات بمقتنيات تعود الى فترة ما قبل النكبة، تعرضها في مقراتها عند إحياء التراث الفلسطيني (مجد الكروم، علما، الظاهرية التحتا مثلاً) كما تحتفظ بسندات ملكية للأراضي تعمل على ترتيبها وبوثائق أخرى تعود لفترة ما قبل النكبة. تدلّ كافة هذه الأنشطة على أهمية دور كبار السن الذين ولدوا وعاشوا بضعة سنوات قبل النكبة في فلسطين المحتلة، والذين كانوا السند في إنشاء هذه الروابط، فهم الذين احتفظوا بالوثائق وبعض المقتنيات الأصلية، وهم الذين حافظوا، في ذاكرتهم، على معالم قراهم وبلداتهم، وعلى روابط عائلاتهم.

وتجدر الإشارة هنا الى دور مؤسسة فلسطينية يرأسها د. ياسر قدورة، تدير موقع "هوية" والتي حدّدت أهدافها بالـ"تأكيد وحفظ انتماء العائلات لفلسطين بأسلوب علمي موثق" و"الحفاظ على الهوية العربية والإسلامية للعائلات الفلسطينية..." و"تحصين العائلات الفلسطينية من التباعد والتفكك في ظل عمليات الهجرة والتهجير المتكررة" و"إبراز قضية حق العودة للعائلات الفلسطينية..." و"إتاحة المجال للأجيال الجديدة للتواصل والتفاعل الاجتماعي فيما بينهم"... لقد شاركت بعض الروابط مع "هوية" في توثيق بعض الشهادات أو ذكريات "جيل النكبة" (مجد الكروم، سحماتا) وتوثيق العديد من عائلات فلسطين في قراها وبلداتها.

تنشط بعض الروابط لتوثيق العلاقة بين الجيل الجديد والقرية أو البلدة، من خلال طرح مسابقات على الشباب أو ترسيخ فكرة اللجوء المؤقت وحتمية العودة والانتماء ليس فقط الى فلسطين بل الى القرية ذاتها. وفي هذا الصدد، يؤكد عادل سمارة من رابطة ترشيحا على أهمية الانتماء الى القرية والبلدة، كي لا تبقى فكرة العودة والتعلق بالوطن فكرة مجردة، يمكن تحويلها أو لفها بالغموض. يضيف الأستاذ الحاج علي أن "مجرد الاسم يزرع الوعي"، فالروابط أنتجت جواً عاطفياً يتيح التعلق بالقرية، وينمي طموح العودة إليها بالذات، وليس فقط الى فلسطين، لا سيما بعد أن اختصر البعض فلسطين بالضفة الغربية وقطاع غزة. اسم القرية، وموقعها، ومعالمها القديمة والحالية، وعائلاتها، إضافة الى الصور المعروضة في مقرات الروابط، كلها عناصر تساهم في تمتين علاقة جيل الشباب مع بلاده الأصلية. فالبلدة أو القرية لم تعد غامضة أو مجرد اسم، بل توضحت معالمها أكثر بفضل نشاط الروابط في مخيمات لبنان.

توزّع بعض الروابط خارطة مفصلة للقرية بشوراعها وجامعها وكنيستها، إن وجدت، والمدرسة والمقبرة والأراضي بأسمائها الأصلية، وبيوتها، مع أسماء العائلات التي كانت تسكنها. بعض هذه الخرائط أنجزتها الروابط (سحماتا والكويكات)، والبعض الآخر أنجزها أحد أبناء القرية، من مهجّري الداخل، مثل مجسّم قرية الكابري الذي صنعه عبد الناصر محمود حصري، الذي يعيش الآن في عكا، من ورق الكارتون. في مقابلة صحفية، يوضّح عبد الناصر حصري لماذا أعاد "تركيب" قريته، بالقول: "إن اليهود جرفوا الأرض وغيروا معالم

البلد، ومهما أصف الأمر للأحفاد فلا أستطيع شرحه كما هو بالمُجسّم، ومن يسألني من أولاد الكابري ممن أهاليهم بقوا في أبو سنان عن بيتهم، أشير لموقعه على المُجسم، ولا شك بأنه يزداد عشقاً لبيته وأرضه وبلده. وهكذا، وأنا في مثل هذا السن المتقدم، أساهم في ترسيخ: أنه لا بد من العودة إلى ديارنا وإعادة بنائها من جديد".

أما بالنسبة للقرى الأخرى التي تنتمي إليها الروابط، فالخرائط محفوظة في كتب ألفها أحد أبناء القرية، مثل قرية لوبية، في كتاب "لوبية درّة من درر الجليل" لمؤلفه علي قاسم نوف، وقرية الظاهرية التحتا، في كتاب "الظاهرية التحتا، قرية من أرض الرسالات" لمؤلفه الأستاذ حسني زيد، عضو في "الرابطة الاجتماعية لأهالي الظاهرية"، وقرية الكابري في كتاب "سِفر قرية الكابري، روضة من رياض فلسطين المباركة"، لمؤلفه الحاج بدر الدين الجشي، وقرية علما حيث وثّق الأستاذ أحمد عطية أراضيها وعائلاتها وحاراتها وبيوتها في كتاب "علما زيتونة بلاد صفد"[1] (من انتاج "جمعية علما الخيرية")، وقرية دير القاسي في كتاب ألفه الأستاذ ابراهيم خليل العثمان، الذي رسم أيضاً خارطة القرية على لوحة[2] يعرضها في مكتبه.

وأخيراً، تطمح رابطة ترشيحا الاجتماعية في إعادة تصوير خارطة ثلاثية الأبعاد لبلدة ترشيحا قبل النكبة وتدمير 85% من بيوتها، بالتواصل مع لجنة ترشيحا في الداخل المحتل، حيث باشر المهندس نبيل حداد بالعمل، ضمن مشروع المتحف الإلكتروني للبلدة.

رغم توثيق العلاقة بين اللاجئين وبلداتهم من خلال الروابط والجمعيات التي نشأت، تبقى الإشكالية في العلاقة بينهم وبين أهل القرى الذين ما يزالون في الجزء المحتل من فلسطين عام 1948، أي "مهجّري الداخل"، الذين تم تهجيرهم من قراهم وبلداتهم الأصلية الى قرى وبلدات ومدن أخرى. فلا يحق لهم العودة الى مسقط رأسهم أو استعادة أملاكهم رغم أنها على مرمى حجر من مكان سكنهم الحالي، كما هو حال بعض عائلات الكويكات التي اشترت أرضاً وسكنت في قرية أبو سنان القريبة. قلة من الروابط والجمعيات تقيم علاقات مع أبناء قراهم في الداخل. يؤكد البعض أنه لم يبق في فلسطين المحتلة أي من أبناء القرية (دير القاسي)، في حين يعترف البعض الآخر أنه لم يحاول، إلا مؤخراً ومن خلال شبكة التواصل الاجتماعي (حطين). اقتصر البعض على العلاقات العائلية، ويذكر الحاج أبو جمال العلي، من الكويكات، اللقاء الذي جمع أفراد العائلة على الحدود بين فلسطين المحتلة ولبنان في أيار 2000. كما يتم أحياناً اللقاء

---

[1] يمكن قراءة الكتاب في موقع http://www.my-palestine.net/ar الذي يوثق بشكل علمي معلومات عن قرى وبلدات فلسطين، والعائلات التي كانت تسكنها وتفاصيل أخرى مهمة لإستعادة الروابط الإجتماعية.

[2] http://www.youtube.com/watch?v=ZPDfCUVooXg، من تصوير موقع "هوية"
http://www.howiyya.com/Portal/default.aspx حيث يمكن متابعة أحوال القرى والبلدات وأيضا أحياء المدن في فلسطين المحتلة.

لأسباب عائلية عندما يحصل كبار السن من اللاجئين على تصريح عن طريق الصليب الأحمر الدولي لزيارة الأهل، أو اللاجئون المهاجرون الى الدول الغربية على جواز سفر أجنبي يسمح لهم بزيارة البلاد والأهل، فيتم أحياناً التواصل العائلي والاجتماعي من خلالهم، إلا أن هذه العلاقات ما تزال فردية وغير منتظمة.

تشكل تجربة رابطتين، هما رابطة أبناء سحماتا في منطقة الشمال ورابطة ترشيحا الاجتماعية في مخيم برج البراجنة، نموذجاً للعلاقات التي يمكن إقامتها بين اللاجئين من جهة وفلسطينيي الداخل من جهة أخرى، لا سيما أبناء القرى والبلدات التي ينتمي اليها اللاجئون. ففي بلدة ترشيحا، لم تهجّر القوات الصهيونية كافة أبناءها، بل فقط المسلمين منهم، الذين تم تدمير معظم أحياءهم ومنازلهم. رغم أن رابطة ترشيحا لم تبدأ نشاطها بإقامة العلاقة مع أبناء البلدة في فلسطين المحتلة، إلا أنها وصلت الى هذا المسار بعد أن شرعت بعملية التوعية الوطنية باتجاه الشباب. وفي العام 2006، انطلقت "حركة شباب ترشيحا" في كل من لبنان وسوريا (مخيم النيرب) وبلدة ترشيحا بغية اللقاء والتعارف والقيام بحملات مشتركة، حملات وطنية أو خاصة بالبلدة، كذكرى احتلال ترشيحا في يوم 28 تشرين الأول حيث يحتفل أهالي البلدة في اللجوء والبلدة، بمسيرة مشاعل أو فعاليات أخرى. إضافة الى الجدارية التي تتوسط البلدة، حيث سجلت أسماء عائلاتها، باشرت الآن اللجان المتخصصة في ترشيحا بمشروع متحف إلكتروني لترشيحا قبل 48، أي أن التقنيات الجديدة تساعد أبناء البلدة على التواصل والعمل المشترك.

يختلف الوضع قليلا مع رابطة أبناء سحماتا، وذلك لأنه تم تهجير كل أهلها في العام 1948، فمنهم من يعيش في اللجوء خارج البلاد ومنهم من بقي على أرض فلسطين. تقيم الرابطة علاقات مع "جمعية أبناء سحماتا" الناشطة التي تأسست في البلاد وأقامت موقعا إلكترونياً[3] خاصاً بالجمعية، يوثق أخبار القرية وعائلاتها، والنشاط الذي تقوم به من "ترميم المقابر والمقدسات والمحافظة عليها". تهدف الجمعية التي تأسست في العام 1995 الى "العمل من أجل عودة أبناء سحماتا الى قريتهم". وفي عام 2012، أطلقت مجموعة من أبناء سحماتا "زهرة الجليل الأعلى"، صفحة فيسبوك، "لجمع أهالي سحماتا في فلسطين المحتلة".

تدل التجربتان على أهمية وجود علاقات ممأسسة للتواصل بين اللاجئين وفلسطينيي 48، أي أن الاتصال أسهل وأشمل عندما يتم عن طريق جمعية ناشطة في البلاد. تعمل في البلدة ذاتها (ترشيحا) أو من أجل العودة الى البلدة (سحماتا)، وهذا ما يمكن أن تقوم به روابط أخرى في مخيمات لبنان، إلا أن عدم تشكيل أي إطار يهتم باللاجئين وعودتهم وحفظ مكانهم في

[3] http://www.suhmata.com/aboutsuhmata.php

البلدة، كما فعلت لجنة ترشيحا، لا يفسح المجال الى التواصل والارتباط والمشاركة في تحديد مستقبل البلدة بعد زوال الاحتلال. في بلدة مجد الكروم مثلاً، لم يبادر الأهل في الداخل المحتل الى تشكيل لجنة للمطالبة بعودة أهلها اللاجئين أو لاستعادة التواصل معهم. إن وجود مؤسسة ما (لجنة أو جمعية) في الداخل، تنشط محلياً من أجل عودة اللاجئين أو المهجّرين، يمهد السبيل لإقامة علاقات بين الرابطة في لبنان واللجنة في فلسطين المحتلة، ما يبعد شبهة التعامل مع العدو الذي يخشاه العديد من اللاجئين، حين يبادرون بالتواصل.

في الداخل المحتل، تضاعفت مبادرات العودة الى القرى المهجرة، وتأسست عدة جمعيات، معظمها منتمية الى "جمعية الدفاع عن حقوق المهجّرين"، كما أن الأحزاب السياسية تأخذ بين الحين والآخر مبادرات في هذا الاتجاه، كالمبادرة التي قامت بها الحركة الإسلامية في الداخل، التي بدأت حملة "لقرانا نعود وفي الكابري نلتقي" توجت يوم 15 أيار في الكابري، للمطالبة بعودة المهجّرين واللاجئين الى قراهم وبلداتهم. في الوقت ذاته، بدأت "جمعية الدفاع عن المهجرين" حملتها لمسيرة الى قرية لوبية. إن متابعة الفعاليات التي تبادر اليها جهات عدة في فلسطين المحتلة تشكل مناسبة للاتصال وإقامة علاقات مؤسساتية بين الروابط واللجان المحلية، قبل البدء في العمل سوياً والتخطيط للمستقبل.

من خلال التواصل بين أبناء القرية والبلدة الواحدة، تتعمق العلاقة بين اللاجئين وفلسطينيي 48، بشكل عام وعلى مستويات أكثر شمولية، لتوحيد الشعب الذي قطّع أوصاله الاحتلال.

خلاصة

لم يستسلم الشعب الفلسطيني منذ قرن من الزمن لمشروع إلغائة كشعب ومجتمع، رغم المجازر والحروب والمؤامرات الدولية التي حيكت وتحاك ضده وضد تطلعاته. تشكل الروابط والجمعيات المنتمية الى القرى والبلدات الفلسطينية، في اللجوء ولا سيما في مخيمات لبنان، إحدى أشكال التصدي لهذا المشروع، وذلك لأنها تعيد إحياء العلاقات العائلية والمجتمعية التي حاول الاحتلال القضاء عليها، من خلال التهجير أولاً ومنع التواصل بين اللاجئين وقراهم وبلداتهم وأهلهم في فلسطين المحتلة ثانياً.

نشأت معظم الروابط والجمعيات المنتمية الى القرى والبلدات المهجرة في التسعينيات من القرن الماضي، بعد اتفاقيات أوسلو التي شهدت تراجعاً كبيراً لدور الفصائل الفلسطينية وفراغاً

سياسياً وأمنياً في المخيمات، ولتلبية حاجات اللاجئين، الإنسانية والصحية والاجتماعية. خلافاً للجمعيات الأخرى التي نشأت في هذه الفترة أيضاً، جهدت الروابط لإعادة الروابط العائلية والمجتمعية الى جانب تلبية أحتياجاتهم المعيشية الآنية. ولكن سرعان ما تطور دورها الى المجال الثقافي والوطني العام، من خلال إعادة إحياء العلاقة مع القرية والبلدة في فلسطين المحتلة.

ابتدعت الروابط "القروية" أشكالاً مختلفة من الدعم الإنساني والاجتماعي للعائلات المنتسبة إليها، وإلى جمهور المخيمات إجمالاً، رافضة اتهامها بالعشائرية؛ كما أنها سعت الى التنسيق مع الفصائل واللجان الشعبية والأمنية لحفظ الأمن الاجتماعي وتطوير الخدمات في المخيمات. نظرت الفصائل بريبة الى اتساع دورها ووقفت أمام تكتلها في بعض المخيمات، خشية تكوين بديل عنها، رغم انتماء أعضاء هذه الروابط والجمعيات الى معظم الفصائل، غير أنها تؤكد من جهة أخرى أنها تقف على مسافة واحدة من الكل، وأنها تهدف أولاً الى "تعزيز الروابط بين أهل المخيم".

إضافة الى الدور الاجتماعي التي تقوم به هذه الروابط والجمعيات، طوّرت دورها الوطني من خلال ارتباط اللاجئين بقراهم وبلداتهم الأصلية، لتكريس حق عودتهم الى فلسطين. تعتبر الروابط أن الانتماء الى هذه القرى والبلدات هو المدخل الأساسي للعودة الى فلسطين، حتى لا يبقى شعار "حق العودة" مجرد شعار بعيد المنال. لذلك، فهي تنشط في المجال الثقافي والتربوي وتنمّي لدى الأجيال الشابة انتماءهم الى بلداتهم الأصلية، التي أعادت إحياءها في خرائط تفصيلية لبيوتها وشوارعها، ما قبل 1948. فتعميم الروابط والجمعيات "القروية" في مخيمات لبنان، وغيره من الدول، من شأنه ترسيخ الانتماء الى فلسطين عبر القرية والبلدة، والتصدي لمحاولة استبدالها بمكان آخر في فلسطين أو خارجها.

لا تقيم الروابط علاقات مع أبناء عائلاتها وقراها الذين ما يزالون يعيشون في فلسطين المحتلة، إلا بشكل فردي وعائلي أحياناً؛ ولكن تنفرد رابطتان، هما رابطة ترشيحا ورابطة سحماتا، بإقامة علاقات مؤسساتية مع جمعيات في الداخل، تضم المهجّرين (سحماتا) أو الذين ما يزالون في البلدة (ترشيحا). لا تسمح الأوضاع الأمنية في بعض الدول العربية بإقامة علاقات وثيقة بين اللاجئين وفلسطينيي الداخل، إلا أنه يمكن تطوير علاقات مؤسساتية بينهم وبين روابطهم من جهة وجمعيات تضم المهجّرين المنتمين الى هذه القرى أو الذين يعيشون فيها، من جهة أخرى. تأسست في الفترة الأخيرة العديد من الجمعيات التي تضم المهجرين من القرى التي ينتمي اليها اللاجئون، للمطالبة بالعودة إليها وإحيائها من جديد، كما هو الحال في قرية كفر برعم المهجرة، التي لجأت بعض عائلاتها الى لبنان (مخيم الضبية). وتنشط هذه الجمعيات

أيضاً في مسيرة العودة السنوية تحت شعار "استقلالكم هو نكبتنا" أو غيرها من الشعارات الوطنية. إن توثيق العلاقة بين الروابط والجمعيات في لبنان من جهة والجمعيات التي تنشط لتفعيل عودة المهجّرين واللاجئين الى ديارهم الأصلية أصبح الآن ممكناً وسهلاً، بفضل التقدم التكنولوجي الذي أفسح مجال التواصل بين جميع البشر، ولأنه أصبح أكثر إلحاحاً بعد تهميش اللاجئين وفلسطينيي 48 عن مسار "الحلول" السياسية التي تطرح في الساحة الدولية والإقليمية. إن التأكيد على الانتماء المشترك للقرية، وإقامة العلاقات الوثيقة بين أبنائها والتخطيط لمستقبل مشترك في أرض الوطن، هي خطوات عملية في مسيرة العودة الى فلسطين، وتضرب في العمق المشروع الصهيوني الذي يحاول تجزئة القضية والأرض وتفتيت الشعب.

وكالة القدس للأنباء/خاص